**اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْحَادِي وَالأَرْبَعُونَ**

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

1 يَا رَبُّ، إِلَيْكَ صَرَخْتُ. أَسْرِعْ إِلَيَّ. أَصْغِ إِلَى صَوْتِي عِنْدَ مَا أَصْرُخُ إِلَيْكَ. 2لِتَسْتَقِمْ صَلاَتِي كَالْبَخُورِ قُدَّامَكَ. لِيَكُنْ رَفْعُ يَدَيَّ كَذَبِيحَةٍ مَسَائِيَّةٍ. 3اجْعَلْ يَا رَبُّ حَارِساً لِفَمِي. احْفَظْ بَابَ شَفَتَيَّ. 4لاَ تُمِلْ قَلْبِي إِلَى أَمْرٍ رَدِيءٍ لأَتَعَلَّلَ بِعِلَلِ الشَّرِّ مَعَ أُنَاسٍ فَاعِلِي إِثْمٍ، وَلاَ آكُلْ مِنْ نَفَائِسِهِمْ.

5لِيَضْرِبْنِي الصِّدِّيقُ فَرَحْمَةٌ، وَلْيُوَبِّخْنِي فَزَيْتٌ لِلرَّأْسِ. لاَ يَأْبَى رَأْسِي. لأَنَّ صَلاَتِي بَعْدُ فِي مَصَائِبِهِمْ. 6قَدِ انْطَرَحَ قُضَاتُهُمْ مِنْ عَلَى الصَّخْرَةِ، وَسَمِعُوا كَلِمَاتِي لأَنَّهَا لَذِيذَةٌ. 7كَمَنْ يَفْلَحُ وَيَشُقُّ الأَرْضَ تَبَدَّدَتْ عِظَامُنَا عِنْدَ فَمِ الْهَاوِيَةِ. 8لأَنَّهُ إِلَيْكَ يَا سَيِّدُ يَا رَبُّ عَيْنَايَ. بِكَ احْتَمَيْتُ. لاَ تُفْرِغْ نَفْسِي. 9احْفَظْنِي مِنَ الْفَخِّ الَّذِي قَدْ نَصَبُوهُ لِي، وَمِنْ أَشْرَاكِ فَاعِلِي الإِثْمِ. 10لِيَسْقُطِ الأَشْرَارُ فِي شِبَاكِهِمْ حَتَّى أَنْجُوَ أَنَا بِالْكُلِّيَّةِ.

# احفظ باب شفتيَّ

رأينا في المزمور السابق صلاة المؤمن الذي يواجه مكايد العدو، وفي مزمورنا نراه يصارع ليحيا الحياة النقية دون أن يضحي بمبادئه بسبب ضغوط الأعداء. لقد رفض الحلول الوسط، ولم يشارك الأشرار شرورهم، وهو يصلي أن يحفظه الله من أن يخطئ بالفكر أو بالقول أو بالعمل، ويطلب أن تكون حياته أمينة لله مهما كثرت الضغوط عليه، سواء كانت من داخل نفسه، من لسان غير منضبط ومن قلب معرَّضٍ لرفض النصيحة، أو من خارج نفسه من قوات شريرة أقوى منه ظاهرة أو خفيَّة.

وقد اعتادت الكنيسة الأولى أن تتلو هذا المزمور في بدء العبادة المسائية لأن الآية الثانية منه تقول: «لتستقم صلاتي كالبخور قدامك. ليكن رفع يديَّ كذبيحة مسائية».

## في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم يصلي لأجل نفسه (آيات 1–5)

ثانياً – المرنم ينصح أعداءه (آيتا 6، 7)

ثالثاً – المرنم يعلن طمأنينته (آيات 8–10)

# أولاً - المرنم يصلي لأجل نفسه
## (آيات 1-5)

1 – طلب الاستجابة: (آيتا 1، 2).

(أ) أسلوب الطلب: «يا رب إليك صرخت. أسرع إليَّ. أصغ إلى صوتي عندما أصرخ إليك» (آية 1). في خوف من مجاراة الأشرار، وفي رغبة أن يكون نقي القلب يصرخ المرنم طالباً المعونة الإلهية السريعة. وما أجمل أن يسرع الإنسان المجرَّب بطلب النعمة التي تنصره على التجربة التي تواجهه، فيطلب الطهارة عندما تجرِّبه شهوة النجاسة، ويطلب طول الأناة عندما يوشك أن يفقد أعصابه.. إن الحكيم لا ينتظر حتى يسقط في الخطية ليطلب التطهير، بل يطلب المناعة ضد الخطية حالما يجرَّب بها، وقبل الوقوع فيها.

(ب) تشبيهان للطلب: (آية 2).

**(1) الصلاة كالبخور:** «لتستقم صلاتي كالبخور قدامك» (آية 2أ). استقامة الصلاة هي انتظامها واستمرارها، كما قيل عن العبادة أيام الملك حزقيا: «كانت المحرقات كثيرة بشحم ذبائح السلامة وسكائب المحرقات، فاستقامت خدمة بيت الرب» (2أخ 29: 35). ويطلب المرنم أن تكون استقامة صلاته كالبخور الذي يرتفع إلى أعلى، وله رائحة ذكية «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم، وفي كل مكان يُقرَّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة.. قال رب الجنود» (ملا 1: 11). وقد قيل: «ولما أخذ (المسيح) السفر خرّت الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون شيخاً أمام الحمل، ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين.. وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب، وأُعطي بخوراً كثيراً لكي يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذي أمام العرش. فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله» (رؤ 5: 8 و8: 3، 4).

**(2) الصلاة كذبيحة مسائية:** «ليكن رفع يديَّ كذبيحة مسائية» (آية 2ب). أمرت الشريعة بتقديم ذبيحة صباحاً وأخرى مساءً. والصلاة ذبيحة، فقد أمر الرب: «خذوا معكم كلاماً وارجعوا إلى الرب. قولوا له: ارفع كل إثم، واقبل حسناً، فنقدم عجول شفاهنا» (هو 14: 2). والتسبيح ذبيحة كما يقول الوحي: «فلنقدِّم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب 13: 15). وعمل الخير ذبيحة، كما قيل: «لا تنسوا فعل الخير والتوزيع، لأنه بذبائح مثل هذه يسرّ الله» (عب 13: 16). وفي نهاية يومٍ عمل فيه المرنم خيراً، رفع يديه لله في صلاة وتسبيح، كما تعوَّد، وكأنه يقول: «استمع صوت تضرُّعي إذ أستغيث بك وأرفع يديَّ إلى محراب قدسك» (مز 28: 2). وهذا ما يجب أن نفعله اليوم، لأن الوحي طلب أن نصلي رافعين أيادي طاهرة من أجل المسؤولين وأصحاب المناصب في بلادنا (1تي 2: 8).

ورفع اليدين للصلاة يعني اتجاه القلب بكامله إلى الرب، لأن اليدين مشغولتان بالعبادة دون غيرها.. ويعني أيضاً الانتباه لصوت الرب والاستجابة لتوجيهاته، فنقول: «تكلم يا رب لأن عبدك سامع» (1صم 3: 9).. ويعني تطلع الأعين الضارعة المترجية إلى مصدر البركة، فنقول: «أرفع عينيَّ إلى الجبال من حيث يأتي عوني. معونتي من عند الرب صانع السماوات والأرض» (مز 121: 1، 2).. ويعني رفع كل ما في المصلي وتكريسه لله تقدمةً للرب، عملاً بالوصية الرسولية: «قدِّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم العقلية» (رو 12: 1).. ويعني طلب العون الإلهي ومدّهما نحو الله لتلقِّي الاستجابة، كما فعل موسى عندما هاجم العمالقةُ بني إسرائيل في صحراء سيناء، فرفع يده للصلاة طالباً الحماية. وكان إذا رفع يده ينتصر بنو إسرائيل، وإذا خفضها ينتصر العمالقة. «فلما صارت يدا موسى ثقيلتين.. دعم هارون وحور يديه، الواحد من هنا والآخر من هناك. فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس». وهكذا انتصروا (خر 17: 8-13).

2 – طلبات المصلي: (آيات 3-5).

(أ) **حفظ اللسان:** «اجعل يا رب حارساً لفمي. احفظ باب شفتيّ» (آية 3). يطلب المرنم أن يحفظه الرب من التفوُّه باللغة النابية التي ينطق بها أعداؤه المحيطون به، تتميماً للوصية: «صُن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلم بالغش» (مز 34: 13). فيقول: «قلتُ أتحفَّظ لسبيلي من الخطأ بلساني. أحفظ لفمي كمامة فيما الشرير مقابلي» (مز 39: 1). لأن «من يحفظ فمه يحفظ نفسه. ومن يفتح شفتيه فله هلاك» (أم 13: 3)، و«من يحفظ فمه ولسانه يحفظ من الضيقات نفسه» (أم 21: 23). ويقول للرب: «لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضية أمامك يا رب، صخرتي ووليي» (مز 19: 14). فيجيبه الرب: «لأني حينئذ أحوِّل الشعوب إلى شفة نقية ليدعوا كلهم باسم الرب، ليعبدوه بكتف واحدة.. بقية إسرائيل لا يفعلون إثماً، ولا يتكلمون بالكذب، ولا يوجد في أفواههم لسان غش» (صف 3: 9، 13). فلنسمع تحذير الرسول يعقوب: «لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا. إن كان أحد لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل، قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً.. فاللسان نار.. به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذين قد تكوّنوا على شبه الله. من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة. لا يصلح يا إخوتي أن تكون هذه الأمور هكذا» (يع 3: 2، 6، 9، 10).. ولا شك أنه «من فضلة القلب يتكلم الفم. الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخرج الصالحات» (مت 12: 34، 35).. وهذا ما أسرع المرنم بطلبه.

(ب) **نقاوة القلب:** «لا تُمِل قلبي إلى أمر رديء لأتعلل بعلل الشر مع أناس فاعلي إثم، ولا آكل من نفائسهم» (آية 4). بعد أن طلب المرنم أن يحفظه الله من خطايا اللسان، طلب أن ينقي قلبه من خطايا الفكر والعمل، ليقدر أن يقول: «بكل قلبي طلبتك. لا تضلني عن وصاياك.. ثبِّت خطواتي في كلمتك ولا يتسلط عليَّ إثم» (مز 119: 10، 133). وهو لا يريد أن يعمل كما يعمل الأشرار فيشاركهم آثامهم ونفائسهم وتمتعاتهم الجسدية «لأنهم يطعمون خبز الشر ويشربون خمر الظلم» (أم 4: 17)، وتقول الوصية: «لا تحسد أهل الشر ولا تشتهِ أن تكون معهم، لأن قلبهم يلهج بالاغتصاب، وشفاههم تتكلم بالمشقة» (أم 24: 1، 2).

(ج) **احتمال التوبيخ:** «ليضربني الصدّيق فرحمة، وليوبخني فزيت للرأس. لا يأبى رأسي. لأن صلاتي بعد في مصائبهم» (آية 5). أراد الأشرار أن يشاركهم المرنم أفراحهم وولائمهم، ولعل قلبه مال إلى اقتراحاتهم. وسمع أصدقاؤه من المؤمنين فوبَّخوه وحذروه منهم. وقد تألم من توبيخهم لأنه كان مثل ضربٍ على رأسه، ولو أنه كان يدرك أنه «أمينةٌ هي جروح المحب، وغاشة هي قبلات العدو» (أم 27: 6)، فلم يرفض التوبيخ، واعتبر الألم الناشئ عنه رحمة ورائحة ذكية مثل الزيوت العطرية الرائحة، لأن «الدهن والبخور يفرحان القلب، وحلاوة الصَّديق من مشورة النفس» (أم 27: 9). «الأذن السامعة توبيخ الحياة تستقر بين الحكماء. من يرفض التأديب يرذل نفسه، ومن يسمع للتوبيخ يقتني فهماً» (أم 15: 31، 32).. «من يوبخ إنساناً يجد أخيراً نعمة أكثر من المُطري باللسان» (أم 28: 23).

وفي قبول توبيخ الأصدقاء استمر المرنم يصلي حتى لا يشترك في مصائب الأشرار.

# ثانياً ـ المرنم ينصح أعداءه
## (آيتا 6، 7)

1 – نصيحة للتوبة: «قد انطرح قضاتهم من على الصخرة، وسمعوا كلماتي لأنها لذيذة» (آية 6). كان رمي إنسان من على صخرة في الأزمنة القديمة وسيلة للإعدام (2أخ 25: 11). ولما كان القضاة والحكام أشراراً، فلا بد أن يلقوا حتفهم بأن يُطرَحوا من على صخرة مرتفعة، فتتناثر أشلاؤهم. ولا يتكبَّر المرنم ولا يتشفّى في هؤلاء القتلى، لكنه يعظ السامعين بكلمات الله اللذيذة، فيحذِّرهم من مصير الخطاة، ويدعوهم للتوبة، ويعلن لهم رحمة الله لكل تائب معترف بخطاياه.

2 – إعلان التوبة: «كمن يَفْلَح ويشق الأرض تبددت عظامنا عند فم الهاوية» (آية 7). الأغلب أن هذه الآية لسان حال سامعي كلمات الله اللذيذة التي تعطي أملاً للتائبين، وتجنِّبهم مصير الخطاة الذين هلكوا إن هم قبلوها وآمنوا بها. لقد تحطمت وتناثرت عظام القادة الأشرار عند مداخل القبور دون أن تجد من يدفنها، وكأن فلاحاً شقَّ الأرض بمحراثه فكسر ما في طريقه من عيدان وأحجار. ويبكي التائبون على نهاية أمواتهم الأشرار، ويسمعون التحذير فيرجعون إلى الله.

# ثالثاً ـ المرنم يعلن طمأنينته
## (آيات 8-10)

1 – لأنه رفع عينيه للرب: «لأنه إليك يا سيد يا رب عيناي. بك احتميت. لا تُفرِغ نفسي» (آية 8). في وقت الكارثة العظمى لهلاك القادة الأشرار، وتوبة الذين رأوا مصيرهم الحزين، رفع المرنم عينيه إلى الله في صلاة، ليحتمي به من مصير الأشرار، ويطلب منه أن لا يُفرغ نفسه، أي أن لا يُهدر حياته كما أُهدِرت حياة أعدائه. وكل من يتوب يتحقق معه وعد المسيح: «الحق الحق أقول لكم: إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة. الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة، وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يو 5: 24، 25).

2 – لأنه في حماية الرب: «احفظني من الفخ الذي قد نصبوه لي، ومن أشراك فاعلي الإثم» (آية 9). لو أن الشرير الأول هلك، لأقام الشيطان شريراً آخر يحارب المؤمن، فيعيش في معركة دائمة. لقد انتصر في موقعة، ومع هذا فإن العدو الشرير يجهِّز له معركة أخرى. لهذا يقول الوحي: «أخيراً يا إخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته. البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس، فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم، على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير، وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا» (أف 6: 10–13). والثبوت بعد تتميم كل شيء يعني أن المعركة مستمرة، لذلك ينصحنا الرسول: «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين في الإيمان، عالمين أن نفس هذه الآلام تجرى على إخوتكم الذين في العالم» (1بط 5: 8، 9).

3 – لأن الأشرار يسقطون: «ليسقط الأشرار في شباكهم حتى أنجو أنا بالكلية» (آية 10). لا بد أن يسقط العدو في الحفرة التي حفرها «يرجع تعبه على رأسه، وعلى هامته يهبط ظلمه.. معروف هو الرب. قضاءً أمضى. الشرير يعلق بعمل يديه» (مز 7: 16، 9: 16). وعندما يُمسك الشرير في الشِّباك التي نصبها، لا يعود يكيد للمؤمن، فينجو بالكلية. ولا شك أن عقاب الله للخاطئ يؤكد للمؤمن المضطهَد أنه إله العدل والإنقاذ والخلاص.

**اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ**

قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ لَمَّا كَانَ فِي الْمَغَارَةِ. صَلاَةٌ

1 بِصَوْتِي إِلَى الرَّبِّ أَصْرُخُ. بِصَوْتِي إِلَى الرَّبِّ أَتَضَرَّعُ. 2أَسْكُبُ أَمَامَهُ شَكْوَايَ. بِضِيقِي قُدَّامَهُ أُخْبِرُ. 3عِنْدَ مَا أَعْيَتْ رُوحِي فِيَّ، وَأَنْتَ عَرَفْتَ مَسْلَكِي – فِي الطَّرِيقِ الَّتِي أَسْلُكُ أَخْفُوا لِي فَخّاً. 4أُنْظُرْ إِلَى الْيَمِينِ وَأَبْصِرْ فَلَيْسَ لِي عَارِفٌ. بَادَ عَنِّي الْمَنَاصُ. لَيْسَ مَنْ يَسْأَلُ عَنْ نَفْسِي. 5صَرَخْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ. قُلْتُ: «أَنْتَ مَلْجَإِي، نَصِيبِي فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ. 6أَصْغِ إِلَى صُرَاخِي لأَنِّي قَدْ تَذَلَّلْتُ جِدّاً. نَجِّنِي مِنْ مُضْطَهِدِيَّ لأَنَّهُمْ أَشَدُّ مِنِّي. 7أَخْرِجْ مِنَ الْحَبْسِ نَفْسِي لِتَحْمِيدِ اسْمِكَ. الصِّدِّيقُونَ يَكْتَنِفُونَنِي لأَنَّكَ تُحْسِنُ إِلَيَّ».

# أخرجْ من الحبس نفسي

رأينا المرنم في مزمور 140 يواجه مكايد الأعداء، وفي مزمور 141 رأيناه يصارع حتى لا يتنازل عن مبادئه ويضحي بها تحت ضغوط الأعداء، من أجل سلامته. وفي هذا المزمور يشكو من السجن والوحدة والعجز. والأغلب أن داود كتب هذا المزمور أثناء اختبائه في مغارة عدلام ومعه عائلته وأربع مئة رجل صاروا قادة مملكته عندما تولى الحُكم (1صم 22).. أو لعله كتبه أثناء اختبائه في مغارة عين جدي (1صم 24). وفي سجنه ووحدته تعلَّم بالألم والمعاناة ما أراد أن يعلِّمه لنا في مزمورنا، وفي مزمور 57، الذي رنمه لما هرب أمام شاول في المغارة.

## في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم يشكو (آيات 1–4)

ثانياً – المرنم ينتظر (آيات 5–7)

# أولاً - المرنم يشكو
## (آيات 1-4)

1 – أسلوب الشكوى: «بصوتي إلى الرب أصرخ. بصوتي إلى الرب أتضرع. أسكب أمامه شكواي. بضيقي قدامه أخبر» (آيتا 1، 2). يشكو المرنم بصراخ وتضرع وانسكاب أمام الله. لم يكتفِ بالصلاة الهادئة لأن حالته النفسية والاجتماعية كانت في الحضيض. كان مثل بارتيماوس الأعمى الذي لا شفاء له من العمى إلا بقدرة المسيح الشافية، فصرخ: «يا ابن داود ارحمني». انتهره كثيرون ليسكت، ولكن هذا الانتهار لم يوقفه عن الطلب، بل جعله يصرخ أكثر كثيراً: «يا يسوع يا ابن داود، ارحمني» (مر 10: 47، 48).

2 – موضوع الشكوى: (آيتا 3، 4).

**(أ) مُتعَب بريء:** «عندما أعيت روحي فيَّ، وأنت عرفت مسلكي. في الطريق التي أسلك أخفوا لي فخاً» (آية 3). أعيت روح المرنم من شدة الضيق وأصابه ما يشبه الإغماء، وكاد يفقد حياته، كما حدث مع يونان في جوف الحوت (يون 2: 7). لكنه كان يعلم أن الرب يراقبه ويعرف مسلكه وكيف أنه بريء من الاتهامات التي اتهموه بها. وكان أعداؤه أيضاً يراقبونه ويعرفون الطريق التي يسلكها، فأخفوا فيها الفخاخ التي نصبوها له. وما أكبر الفرق بين معرفة الأعداء المتآمرة المهلكة ومعرفة الله المعتنية المنقذة «لأنه ينجيك من فخ الصياد ومن الوبإ الخطر. بخوافيه يظللك وتحت أجنحته تحتمي» (مز 91: 3، 4).

**(ب) مُتعَب وحيد:** «انظُر إلى اليمين وأبصِر، فليس لي عارف. باد عني المناص. ليس من يسأل عن نفسي» (آية 4). طلب المرنم من الرب أن ينظر إلى جانبه الأيمن من حيث يأتي النصير ليقف إلى يمينه ويسانده، ولن يجد الرب أحداً من القادرين على المساعدة، ولا أحداً ممن يعرفون المرنم. وسيجد أنه لم يعُد للمرنم مناص (أي مفر أو ملجأ يهرب إليه). لقد هجره أصحابه ولم يعودوا يسألون عنه، فكان مثل مريض بركة بيت حسدا الذي قضى ثمانٍ وثلاثين سنة ينتظر معونة من قريب أو صديق يلقيه في البركة متى تحرك الماء، ولكنه لم يجد من يسأل عن نفسه (يو 5). لم يكن هناك من يدرك قدر المرنم، ولا حجم الخطر المحدق به. وما أقسى الشعور بالوحدة! وقد قدَّم المسيح العلاج لمثل هذا الشعور بقوله: «هوذا تأتي ساعة، وقد أتت الآن، تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي. وأنا لست وحدي لأن الآب معي» (يو 16: 32). وفي مثل هذا الموقف قال الرسول بولس:

«في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي، بل الجميع تركوني. لا يُحسَب عليهم. ولكن الرب وقف معي وقواني لكي تُتمَّ بي الكرازة ويسمع جميع الأمم فأُنقذت من فم الأسد. وسينقذني الرب من كل عمل رديء ويخلّصني لملكوته السماوي. الذي له المجد إلى دهر الدهور. آمين» (2تي 4: 16-18).

# ثانياً ـ المرنم ينتظر
## (آيات 5-7)

1 – الرب هو الملجأ: «صرخت إليك يا رب. قلت: أنت ملجإي» (آية 5أ). كان قد صرخ وتضرع، ولا زال يصرخ وينتظر الرب لأنه الملجأ الوحيد الباقي له. «لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية. فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه.. فمن ثمَّ يقدر أن يخلّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حيّ في كل حين ليشفع فيهم» (عب 4: 15، 16 و7: 25).

2 – الرب هو النصيب: «نصيبي في أرض الأحياء» (آية 5ب). الأحياء هم البشر من حوله، منهم الأتقياء ومنهم الأشرار. ولم يجد له عوناً فيهم، فقد قاومه الأشرار وعجز الأتقياء عن مساعدته، فانتظر الرب نصيبه، وكأنه يقول: «من لي في السماء؟ ومعك لا أريد شيئاً في الأرض. قد فني لحمي وقلبي. صخرة قلبي ونصيبي الله إلى الدهر» (مز 73: 25، 26). «نصيبي هو الرب قالت نفسي، من أجل ذلك أرجوه. طيب هو الرب للذين يترجونه، للنفس التي تطلبه. جيد أن ينتظر الإنسان ويتوقع بسكوت خلاص الرب» (مرا 3: 24-26). ولما كان المرنم ينتظر الرب نصيبه، فإنه سيحيا ولا يموت، لأنه انتمى إلى الأحياء الذين «انتقلوا من الموت إلى الحياة» بفضل موت المسيح الكفاري عنهم، فقالوا عن المسيح: «الذي فيه أيضاً نِلنا نصيباً، معيَّنين سابقاً حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته» (أف 1: 11).

3 – الرب هو السامع: «أَصغِ إلى صراخي لأني قد تذللت جداً» (آية 6أ). في شدة المحنة والذل استعجل المرنم الرب ليستجيب صلاته وينقذه. لقد تذلل من إهمال أهله، ومن اضطهاد أعدائه، فانتظر عون من لا يذل أحداً. «لكلماتي أَصغ يا رب. تأمل صراخي. استمع لصوت دعائي يا ملكي وإلهي لأني إليك أصلّي. يا رب، بالغداة تسمع صوتي. بالغداة أوجِّه صلاتي نحوك وأنتظر» (مز 5: 1-3). «أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً وهو متمهِّلٌ عليهم؟.. إنه ينصفهم سريعاً» (لو 18: 7، 8).

4 – الرب هو المنجي: «نجِّني من مضطهديَّ لأنهم أشد مني. أَخرِج من الحبس نفسي لتحميد اسمك» (آية 6ب و7أ). كان المرنم سجين محبسه في مغارة عدلام أو مغارة عين جدي، خوفاً من بطش الملك القاسي شاول الذي كان يتابعه ومعه جنوده ليقتله. ولا بد أنه كان مشتاقاً لتقديم العبادة للرب وللترنيم له في خيمة الاجتماع. وكان ينتظر إنقاذ الرب له ليشترك مع محبي الرب في التسبيح والتحميد. وأعطاه الرب سؤله، فتساءل: «ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لي؟». وأجاب: «حللت قيودي. فلك أذبح ذبيحة حمد، وباسم الرب أدعو» (مز 116: 12، 16، 17).

5 – المؤمنون هم الصُّحبة: «الصدّيقون يكتنفونني لأنك تحسِن إليَّ» (آية 7ب). رأى المرنم بالإيمان استجابة الرب قادمة، ورأى الصدّيقين يجتمعون معاً للعبادة ويرفعون أيادي الشكر لله الذي أحسن إليهم، ويرتلون: «أغنّي للرب لأنه أحسن إليّ.. أخبر باسمك إخوتي. في وسط الجماعة أسبحك. يا خائفي الرب سبحوه.. لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين، ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع» (مز 13: 6 و22: 22-24). «قلت للرب: أنت سيدي. خيري لا شيء غيرك. القديسون الذين في الأرض والأفاضل كل مسرّتي بهم» (مز 16: 2، 3).

**اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ**

مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ

1يَا رَبُّ، اسْمَعْ صَلاَتِي وَأَصْغِ إِلَى تَضَرُّعَاتِي. بِأَمَانَتِكَ اسْتَجِبْ لِي بِعَدْلِكَ، 2وَلاَ تَدْخُلْ فِي الْمُحَاكَمَةِ مَعَ عَبْدِكَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَتَبَرَّرَ قُدَّامَكَ حَيٌّ. 3لأَنَّ الْعَدُوَّ قَدِ اضْطَهَدَ نَفْسِي. سَحَقَ إِلَى الأَرْضِ حَيَاتِي. أَجْلَسَنِي فِي الظُّلُمَاتِ مِثْلَ الْمَوْتَى مُنْذُ الدَّهْرِ. 4فَأَعْيَتْ فِيَّ رُوحِي. تَحَيَّرَ فِي دَاخِلِي قَلْبِي. 5تَذَكَّرْتُ أَيَّامَ الْقِدَمِ. لَهَجْتُ بِكُلِّ أَعْمَالِكَ. بِصَنَائِعِ يَدَيْكَ أَتَأَمَّلُ. 6بَسَطْتُ إِلَيْكَ يَدَيَّ. نَفْسِي نَحْوَكَ كَأَرْضٍ يَابِسَةٍ. سِلاَهْ.

7أَسْرِعْ أَجِبْنِي يَا رَبُّ. فَنِيَتْ رُوحِي. لاَ تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنِّي فَأُشْبِهَ الْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ. 8أَسْمِعْنِي رَحْمَتَكَ فِي الْغَدَاةِ، لأَنِّي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. عَرِّفْنِي الطَّرِيقَ الَّتِي أَسْلُكُ فِيهَا، لأَنِّي إِلَيْكَ رَفَعْتُ نَفْسِي. 9أَنْقِذْنِي مِنْ أَعْدَائِي يَا رَبُّ. إِلَيْكَ الْتَجَأْتُ. 10عَلِّمْنِي أَنْ أَعْمَلَ رِضَاكَ، لأَنَّكَ أَنْتَ إِلَهِي. رُوحُكَ الصَّالِحُ يَهْدِينِي فِي أَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ. 11مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ يَا رَبُّ تُحْيِينِي. بِعَدْلِكَ تُخْرِجُ مِنَ الضِّيقِ نَفْسِي 12وَبِرَحْمَتِكَ تَسْتَأْصِلُ أَعْدَائِي، وَتُبِيدُ كُلَّ مُضَايِقِي نَفْسِي، لأَنِّي أَنَا عَبْدُكَ.

# لا تدخُل في المحاكمة مع عبدك!

وردت في سفر المزامير سبعة مزامير توبة، هي 6 و32 و38 و51 و102 و130 وآخرها مزمورنا. سمّاها مارتن لوثر «المزامير البولسيَّة» لأنها توضح أن غفران الخطايا نصيبُ كل من يؤمن ويضع ثقته في الفداء الذي دبَّره الله بالمسيح، وهو الفكر الغالب في كتابات الرسول بولس. وقد طلب القديس أغسطينوس في مرضه الأخير أن يكتبوا له هذه المزامير ويعلِّقوها على الحائط في مواجهة فراشه ليراها ويقرأها ويتعزى بها.

رأينا في مزمور 140 العدو يضايق المرنم، ورأيناه في مزمور 141 يصارع مع نفسه حتى لا يضحي بمبادئه وهو يعيش تحت ضغوط هائلة، وفي مزمور 142 رأيناه يعبِّر عن عجزه ووحدته. وفي هذا المزمور يقول إن كل البشر خطاة: «لن يتبرر قدامك حي» (آية 2)، وإنهم جميعاً متساوون في أنهم يحتاجون إلى إرشاد الرب (آية 8). وهو يعلم أن الله سيقبل توبته بناءً على أمانة الله وعدله اللذين ظهرا في الماضي (آيتا 1، 5). ويختم المرنم مزموره بأن يطلب من الله البركات التي لا يحقُّ إلا للتائب أن يطلبها.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – صلاة التوبة (آيتا 1، 2)

ثانياً – أحزان الخطية (3–6)

ثالثاً – رجاء التائب (آيات 7–12)

## أولاً _ صلاة التوبة

## (آيتا 1، 2)

1 – أمانة الله وعدله: «يا رب، اسمع صلاتي وأَصغِ إلى تضرعاتي. بأمانتك استجب لي، بعدلك» (آية 1). يرفع المرنم صلاة التوبة معتمداً على أمانة الرب لمواعيده، فقد أعلن أنه غافر الإثم والمعصية والخطية (خر 34: 7). كما يعتمد على عدل الرب في توقيع عقوبة خطاياه على الذبيحة الكفارية، فينجو هو لأن الله لا يتقاضى أجرة الخطية مرتين.. إن الرب «أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (1يو 1: 9). «لأنه لا فرق، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدَّمه الله كفّارة بالإيمان بدمه» (رو 3: 22–25). وتضرعات المرنم هنا هي صلاة تائب يقول: «اللهم، ارحمني أنا الخاطي» فينزل إلى بيته مبرراً (لو 18: 13). وهي صرخة خاطئ يقول: «اذكرني يا رب متى جئتَ في ملكوتك» فيُجاب: «الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس» (لو 23: 42، 43).. ويعتمد قبول الرب لصلاة توبتنا على عمل المسيح الذي «يقدر أن يخلِّص إلى التمام الذين يتقدَّمون به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم.. لنتقدَّم بقلب صادق في يقين

الإيمان، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومغتسلة أجسادنا بماء نقي. لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً، لأن الذي وعد هو أمين» (عب 7: 25 و10: 22، 23).

2 – عجز المرنم عن تبرير نفسه: «ولا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر قدامك حي» (آية 2). لو أن الله أدخل المرنم في المحاكمة لهلك، لهذا لجأ إلى الرحمة الإلهية، وطلب من الرب أن لا يقاضيه، لأن «أجرة الخطية هي موت. أما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا» (رو 6: 23). وهو نفس ما قاله أيوب: «كيف يتبرَّر الإنسان عند الله؟ إن شاء أن يحاجَّه لا يجيبه عن واحد من ألف.. لأنه ليس هو إنساناً مثلي فأجاوبه فنأتي جميعاً إلى المحاكمة» (أي 9: 2، 3، 32). وأول عُذرٍ يقدمه المرنم للرب في طلب عدم المحاكمة هو أنه عبد الرب، فقد قال: «لأني أنا عبدك» (آية 12)، وقد اشترى السيدُ العبد، فصار العبد ملكاً لسيده، يعتني به ويدبر أموره.. أما عُذره الثاني فهو أنه لن يتبرر أي إنسان أمام الرب «إن كنتَ تراقب الآثام يا رب يا سيد، فمن يقف؟ لأن عندك المغفرة.. لأن عند الرب الرحمة وعنده فدى كثير» (مز 130: 3، 7). وقال أليفاز التيماني: «من هو الإنسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرر؟ هوذا قديسوه لا يأتمنهم، والسماوات غير طاهرة بعينيه– فبالحري مكروهٌ وفاسدٌ الإنسان الذي يشرب الإثم كالماء» (أي 15: 14–16).

# ثانياً _ أحزان الخطية

## (آيات 3-6)

1 – للخطية عقاب: «لأن العدو قد اضطهد نفسي. سحق إلى الأرض حياتي. أجلسني في الظلمات مثل الموتى منذ الدهر. أعيت فيَّ روحي. تحيَّر في داخلي قلبي» (آيتا 3، 4). عرف المرنم أن الضيق الذي يجوز فيه لا بد أن يكون ناتجاً عن عصيانه، وذكر الوعظ الذي يخاطبه كابن: «يا ابني لا تحتقر تأديب الرب، ولا تخُر إذا وبَّخك، لأن الذي يحبه الرب يؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله.. فأي ابن لا يؤدبه أبوه؟» (عب 12: 5–7). لقد أخطأ، فوقع بين يدي عدو جبار لا يرحم، أرهقه واضطهده وأذلَّه وسحقه، وسجنه، وحرمه من التمتع بالحياة، فصار كميتٍ منسيٍّ من الله والناس. وتحيَّر عقله وهو يحاول أن يعرف سبب كل هذا البلاء، وتحيَّر قلبه فتساءل: هل رفضني الرب من أن أكون ابناً له؟

2 – الخطية تضيِّع الشركة مع الله: «تذكرتُ أيام القِدم. لهجتُ بكل أعمالك. بصنائع يديك أتأمل. بسطتُ إليك يديَّ. نفسي نحوك كأرضٍ يابسة» (آيتا 5، 6). «تذكر» المرنم التقي المضطهَد بسبب خطيته أيامه القديمة الجميلة التي كان يأتنس فيها بربِّه في الصلاة والتسبيح والعبادة، وافتقد تلك الشركة الحبِّية التي ضاعت منه لأن الخطية فصلت بينه وبين إلهه. و«لهج» بالمراحم والبركات التي كان الرب يغمره بها، وكرر الحديث عن كل أعمال الله الصالحة السابقة معه. و«تأمل» صنائع يدي الله السابقة معه والتي حملته كل الأيام القديمة وأعانته ونصرته على المصاعب والتحديات. وقارن هذه الروائع بالأرض الجافة التي يقف عليها، وقد خلت من الفرح الروحي، وهجرها الأنس بالله، فطلب العودة إلى الماضي المجيد، وهو يشارك آساف اختباره: «تفكرت في أيام القِدم.. أذكر ترنُّمي في الليل. مع قلبي أناجي وروحي تبحث. هل إلى الدهر يرفض الرب ولا يعود للرضا بعد؟ هل انتهت إلى الأبد رحمته؟.. ألهج بجميع أفعالك وبصنائعك أناجي» (مز 77: 5–8، 12). وبسط المرنم يديه المستجديتين نحو الله، كأنهما يدا طفل يستجير بأمه من الجوع والعطش، يطلب الطمأنينة، ويتضرع: «أسمِعني سروراً وفرحاً فتبتهج عظامٌ سحقتَها.. رُدَّ لي بهجة خلاصك» (مز 51: 8، 12). إنه كالابن الضال في الكورة البعيدة وقد رجع إلى نفسه يقول: «كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعاً! أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له: يا أبي، أخطأت إلى السماء وقدامك، ولستُ مستحقاً بعدُ أن أُدعى لك ابناً. اجعلني كأحد أجراك» فقام وجاء إلى أبيه (لو 15: 17–20)، واعترف بجدب نفسه التي لم تعُد ترتوي من ماء الحياة فتشققت وانقطع منها الثمر، وتوقَّع أن يعطيه الله المطر المبكر والمتأخر ويُشبع في الجدوب نفسه فيصير كجنَّة ريّا وكنبع مياه لا تنقطع مياهه (إش 58: 8–11).

# ثالثاً _ رجاء التائب

## (آيات 7-12)

1 - الرحمة الإلهية: «أسرع أجبني يا رب. فنيت روحي. لا تحجب وجهك عني فأشبه الهابطين في الجب. أسمِعني رحمتك في الغداة لأني عليك توكلت» (آية 7، 8أ). سبق أن قال المرنم: «أعيت فيَّ روحي» (آية 4)، وهنا يقول إنها فنيت، ويطلب أن يسرع الرب بالاستجابة فيشرق وجهه عليه علامة الرضا، ويرفعه من الجب الذي أسقطه أعداؤه فيه. «لا تحجب وجهك عني. لا تخيِّب بسخط عبدك. قد كنت عوني، فلا ترفضني ولا تتركني يا إله خلاصي» (مز 27: 9). وهو يطلب إجابة طلبه مع شروق

شمس الغداة، فيسمع أخبار مراحم الله في مطلع كل يوم، ويطمئن لتحقيق المواعيد الإلهية، وتنقشع ظلمته. حقاً «عند المساء يبيت البكاء، وفي الصباح ترنُّم» (مز 30: 5).

2 – المعرفة الخلاصية: «عرِّفني الطريق التي أسلك فيها لأني إليك رفعت نفسي» (آية 8ب). بعد أن طلب الرحمة التي تُخرجه من الجب، طلب من الرب أن يعرِّفه طريقه لأنه رفع نفسه إلى الرب وبسط يديه نحوه. وهو في هذا يدعو مع موسى: «إن كنتُ قد وجدتُ نعمةً في عينيك فعلِّمني طريقك حتى أعرفك، فأجد نعمةً في عينيك» (خر 33: 13). وهو يطلب مع المرنم: «طرقك يا رب عرِّفني. سبُلك علِّمني.. علِّمني يا رب طريقك، أسلك في حقك. وحِّد قلبي لخوف اسمك» (مز 25: 4 و86: 11)، فيجيبه الرب: «أعلِّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك» (مز 32: 8)، كما «عرَّف موسى طرقه وبني إسرائيل أفعاله» (مز 103: 7).

3 – الإنقاذ الإلهي: «أنقِذني من أعدائي يا رب. إليك التجأت» (آية 9). يجيء الإنقاذ باللجوء إلى الله الذي يخبئ المؤمن من الخطر، فهو يقول: «هلمَّ يا شعبي ادخُل مخادعك وأغلق أبوابك خلفك. اختبئ نحو لحيظة حتى يعبر الغضب» (إش 26: 20). ويجاوب المؤمن: «لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته، وعلى صخرة يرفعني. والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي، فأذبح في خيمته ذبائح الهتاف. أغني وأرنم للرب» (مز 27: 5، 6). «الرب من البطن دعاني.. في ظل يده خبأني وجعلني سهماً مبرياً. في كنانته أخفاني» (إش 49: 1، 2).

4 – الإرشاد الإلهي: «علِّمني أن أعمل رضاك لأنك أنت إلهي. روحك الصالح يهديني في أرض مستوية» (آية 10). الله رب حياة المرنم وإلهه، وهو منقذه من أعدائه، لهذا يطلب بكل تواضع وشعور بالحاجة أن يعلِّمه إلهه المشيئة الصالحة، فلا يميل قلبه إلى طرق الأشرار المعوجة، بل يقول: «علِّمني يا رب طريقك، واهدني في سبيل مستقيم بسبب أعدائي» (مز 27: 11), وينال حياة جديدة فيهتف: «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سُررت، وشريعتك في وسط أحشائي» (مز 40: 8). ويطلب المرنم أن يكون الروح الصالح هادياً له كما صلى نحميا: «أنت برحمتك الكثيرة لم تتركهم في البرية، ولم يزُل عنهم عمود السحاب نهاراً لهدايتهم في الطريق، ولا عمود النار ليلاً ليضيء لهم في الطريق التي يسيرون فيها، وأعطيتهم روحك الصالح لتعليمهم، ولم تمنع منَّك عن أفواههم، وأعطيتهم ماءً لعطشهم» (نح 9: 19، 20)، لأن «طريق الصدّيق استقامة. تمهِّد أيها المستقيم سبيل الصدّيق» (إش 26: 7). ويهدي الروح القدس المؤمن في أرض مستوية، أي إلى أرضٍ خالية من الصعوبات والأخطار، فيقول: «رِجلي واقفة على سهل. في الجماعات أبارك الرب» (مز 26: 12). والروح القدس هو «روح الحكمة والإعلان» (أف 1: 17) وهو المعلِّم. و«كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو 8: 14).

5 – الحياة الفضلى: «من أجل اسمك يا رب تحييني. بعدلك تُخرج من الضيق نفسي» (آية 11). يطلب المرنم الحياة الفضلى من أجل اسم الرب، لا لشيء صالح فيه. «ليس لنا.. لكن لاسمك أعطِ مجداً» (مز 115: 1). وليست الحياة الفضلى عكس الموت فقط، بل هي أيضاً التحرر من كل ما يعطل الحياة المطوَّبة ويمنع التمتع بها، فهي حياة الفرح والسلام التي لا توجد إلا في الشركة مع الله وطاعة كلمته، لأنه «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان» (تث 8: 3)، وقد قال الله لبني إسرائيل: «اسمع الفرائض والأحكام التي أنا أعلِّمكم لتعملوها، لتحيوا» (تث 4: 1). وتمتلئ صفحات الوحي بالحديث عن الحياة الحاضرة الفاضلة، وعن الحياة الأبدية في محضر الله في السماء، فيقول المرنم: «قولك أحياني.. لا أنسى وصاياك لأنك بها أحييتني» (مز 119: 50، 93). «وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقيَّ وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو 17: 3). «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو 3: 16). وعندما «يحيا» الإنسان في المسيح ينقذ الله نفسه من كل ضيق في هذا الزمان، ولا يرى ضيقاً في الزمان الآتي.

6 – العدل الإلهي: «وبرحمتك تستأصل أعدائي وتبيد كل مضايقي نفسي، لأني أنا عبدك» (آية 12). وينهي المرنم مزموره بطلب العدالة الإلهية، فإن أعداء ملكوت الله يقاومون الملكوت، ويضطهدون المسيح نفسه (أع 9: 4)، فيكون استئصال الأعداء وإبادة المضايقين رحمة للمرنم الذي هو عبد الله.. وإن كانت الاستجابة الحرفية لهذه الطلبة تتناسب مع شريعة العهد القديم «عين بعين وسن بسن» فإننا في العهد الجديد نصليها بأسلوب روحي، فنقول: يا رب، استأصل أعداء ملكوتك بأن تربحهم لملكوتك، فيكونوا عبيداً لك لا أعداء لشعبك. كان اليهود أيام المسيح يقولون إن السماء تفرح بخاطئ واحد يهلك لتستريح الأرض من شره، ولكن المسيح قال إن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب (لو 15: 7، 10) وبهذا تستريح الأرض من شره، لا لأنه هلك، بل لأنه تاب عن شروره.. بهذا المعنى الروحي المسيحي نفهم الآية الأخيرة من مزمورنا، ونطبِّقها في معاملاتنا.

## اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ

لِدَاوُدَ

1مُبَارَكٌ الرَّبُّ صَخْرَتِي، الَّذِي يُعَلِّمُ يَدَيَّ الْقِتَالَ وَأَصَابِعِي الْحَرْبَ. 2رَحْمَتِي وَمَلْجَإِي، صَرْحِي وَمُنْقِذِي، مِجَنِّي وَالَّذِي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، الْمُخْضِعُ شَعْبِي تَحْتِي. 3يَا رَبُّ، أَيُّ شَيْءٍ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَعْرِفَهُ أَوِ ابْنُ الإِنْسَانِ حَتَّى تَفْتَكِرَ بِهِ؟ 4الإِنْسَانُ أَشْبَهَ نَفْخَةً. أَيَّامُهُ مِثْلُ ظِلٍّ عَابِرٍ. 5يَا رَبُّ طَأْطِئْ سَمَاوَاتِكَ وَانْزِلِ. الْمِسِ الْجِبَالَ فَتُدَخِّنَ. 6أَبْرِقْ بُرُوقاً وَبَدِّدْهُمْ. أَرْسِلْ سِهَامَكَ وَأَزْعِجْهُمْ. 7أَرْسِلْ يَدَكَ مِنَ الْعَلاَءِ. أَنْقِذْنِي وَنَجِّنِي مِنَ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ، مِنْ أَيْدِي الْغُرَبَاءِ، 8الَّذِينَ تَكَلَّمَتْ أَفْوَاهُهُمْ بِالْبَاطِلِ، وَيَمِينُهُمْ يَمِينُ كَذِبٍ. 9يَا اللهُ، أُرَنِّمُ لَكَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً. بِرَبَابٍ ذَاتِ عَشَرَةِ أَوْتَارٍ أُرَنِّمُ لَكَ. 10الْمُعْطِي خَلاَصاً لِلْمُلُوكِ. الْمُنْقِذُ دَاوُدَ عَبْدَهُ مِنَ السَّيْفِ السُّوءِ.

11أَنْقِذْنِي وَنَجِّنِي مِنْ أَيْدِي الْغُرَبَاءِ الَّذِينَ تَكَلَّمَتْ أَفْوَاهُهُمْ بِالْبَاطِلِ، وَيَمِينُهُمْ يَمِينُ كَذِبٍ. 12لِكَيْ يَكُونَ بَنُونَا مِثْلَ الْغُرُوسِ النَّامِيَةِ فِي شَبِيبَتِهَا. بَنَاتُنَا كَأَعْمِدَةِ الزَّوَايَا مَنْحُوتَاتٍ حَسَبَ بِنَاءِ هَيْكَلٍ. 13أَهْرَاؤُنَا مَلآنَةً تَفِيضُ مِنْ صِنْفٍ فَصِنْفٍ. أَغْنَامُنَا تُنْتِجُ أُلُوفاً، وَرَبَوَاتٍ فِي شَوَارِعِنَا. 14بَقَرُنَا مُحَمَّلَةٌ. لاَ اقْتِحَامَ وَلاَ هُجُومَ وَلاَ شَكْوَى فِي شَوَارِعِنَا. 15طُوبَى لِلشَّعْبِ الَّذِي لَهُ كَهَذَا. طُوبَى لِلشَّعْبِ الَّذِي الرَّبُّ إِلَهُهُ.

# مباركٌ الرب صخرتي

مزمورنا أول سبعة مزامير تسبيحية يُختَتم بها سفر المزامير، فيه يسبح المرنم الرب الذي ينصر شعبه، وهو مذهول من أن الرب العظيم يهتم بالإنسان الذي هو نفخة أو مجرد ظل عابر، ويطلب منه أن ينصره وشعبه على العدو الغريب. ولما كان واثقاً من نصر الرب يشكر بترنيمة جديدة ينظمها ويرتلها برباب ذات عشرة أوتار، ثم يصف نجاح شعبه عائلياً واقتصادياً وأمنياً وروحياً، بفضل نعمة الله.

ومعظم أفكار هذا المزمور مقتبسة من مزامير أخرى هي 8 و18 و39 و104 و133. ويتميَّز هذا المزمور بذكر اسم داود في صُلبه (آية 10)، وليس فقط في عنوانه.

## في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم يصف حاضره (آيات 1–11)

ثانياً – المرنم يصف مستقبله (آيات 12–15)

# أولاً ـ المرنم يصف حاضره

## (آيات 1-11)

1 – انتماؤه لإله قوي: «مبارك الرب صخرتي، الذي يعلِّم يديَّ القتال وأصابعي الحرب. رحمتي وملجإي، صَرحي ومنقذي، مجني، والذي عليه توكلت. المخضع شعبي تحتي» (آيتا 1، 2). وفي هاتين الآيتين نجد ثمانية أوصاف لقوة الله التي أعانت المرنم، فرفع ترنيم شكره للرب:

**(أ) صخرتي:** «مبارك الرب صخرتي». يبارك المرنم الله الذي باركه، كما قيل: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح» (أف 1: 3). ويبارك المرنم ربَّه لأنه صخرته، الثابت الذي لا يتغير، القوي الذي يمكن الاعتماد الكامل عليه، وهو موضع الحماية والراحة «كظل صخرة عظيمة في أرض معيية» (إش 32: 2).

**(ب) معلِّمي:** «الذي يعلِّم يديَّ القتال وأصابعي الحرب». عندما كان داود راعياً للغنم قتل أسداً ودباً أخذا شاة ودبأ من قطيعه، ثم قتل جليات الذي عيَّر جيش الرب (1صم 17)، فقال: «يعلِّم يديَّ القتال فتُحنَى بذراعيَّ قوسٌ من نحاس» (مز 18: 34)، ذلك أن التقي يخوض حرباً روحية دائمة، في داخله ومن خارجه. فالجسد فيه يشتهي ضد الروح، وإبليس خصمه كأسد زائر يريد أن يبتلعه، فلا بد أن يتعلَّم المؤمن من الرب كيف يحيا حياة الانتصار، فيسلك حسب الروح، ويقاوم إبليس فيهرب منه. «من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير» (أف 6: 13). والله يعلِّم المؤمن ويقول له: «أعلِّمك، وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك» (مز 32: 8).

(ج) **رحمتي**: رحمة الله هي محبته القوية الثابتة التي لا تتغير، ويحتاجها كل إنسان في كل زمان ومكان. ويخصص المؤمن هذه الرحمة الإلهية لنفسه، فيقول «رحمتي». والمسيح هو الرحمة، لأنه يحمل خطايا كل من يقبله رباً ومخلِّصاً. «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاءٍ حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (1بط 1: 3).

(د) **ملجإي**: الذي يهرب إليه وقت الخطر فيجد الحماية الكاملة، ويقول: «لأنك كنتَ ملجأً لي. برج قوة من وجه العدو. لأسكننَّ في مسكنك إلى الدهور. أحتمي بستر جناحيك» (مز 61: 3، 4).

(هـ) **صَرحي**: والصرح هو البرج الحصين المرتفع، الذي يجد فيه المحارب أو المُدافع أو المحاصَر كل ما يحتاجه من ماء وطعام وسلاح. والصَّرح يُقام عادةً على صخرة مرتفعة، فيكون قادراً على الصمود. ومع أن الرب صرحٌ عالٍ إلا أنه لا يترفَّع على التقي، بل يتنازل إليه وينقذه ويحميه.

(و) **منقذي**: الرب هو الصخر الكامل صنيعه (تث 32: 4)، الذي لا بد يعلِّم تقيَّه كيف يدافع عن نفسه، ويكون له الملجأ والصرح الذي ينقذه عندما يحتمي به. «هو ينجي وينقذ ويعمل الآيات والعجائب في السماوات وفي الأرض. هو الذي نجى دانيال من يد الأسود» (دا 6: 27).

(ز) **مجنّي**: «مجنّي الذي عليه توكلت. المخضع شعبي تحتي». والمجن هو الترس الكبير، وهو قطعة من الخشب مغطاة بالجلد، يتلقّى عليها المحارب سهام العدو فلا تصيبه. «عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه» (إش 59: 19). ويتوكل المحارب على المجن لأنه يحميه من ضربة السهم، فلا يجرحه ولا يخترق جسده. بل إن السهم ينغرس في المجن فيمسك المجن به، فيأخذ المحارب السهم ويردُّه على العدو، فيصير ما قُصد به شراً مصدر خير ودفاع وحماية، يُخضع العدو ويوقع به الهزيمة.

(ح) **نصيري**: «المخضع شعبي تحتي». كانت هناك محاولة انقلاب من أبشالوم على أبيه داود، وقف فيها بعض أصدقاء داود مع أبشالوم، ولكن الرب نجى داود فخضع شعبه له (2صم 15–19). «إذا أرضت الربَّ طرقُ إنسان جعل أعداءه أيضاً يسالمونه» (أم 16: 7).

2 – انذهاله من الحب الإلهي: «يا رب، أيُّ شيء هو الإنسان حتى تفتكر به! الإنسان أشبه نفخة. أيامه مثل ظل عابر» (آيتا 3، 4). يعبِّر المرنم في هاتين الآيتين عن اندهاشه من اهتمام الرب به، ويذكر وصفين للإنسان:

(أ) **الإنسان نفخة**: وهذا ما دعا به آدم ابنه الثاني هابيل، ومعناه نفخة أو بخار. «لأنه ما هي حياتكم؟ إنها بخار، يظهر قليلاً ثم يضمحل» (يع 4: 14). يؤذيه الشرير، ويُضعفه المرض. «هوذا جعلتَ أيامي أشباراً. عُمري كلا شيء قدامك. إنما نفخة كل إنسان قد جُعل.. إنما كل إنسان نفخة» (مز 39: 5، 11).

(ب) **الإنسان ظل**: ويتعجب المرنم من اهتمام الله بالإنسان، مع أنه مجرد ظل لا يستمر، ولا يبقى مكانه، ولما ينتهي لا يترك وراءه أثراً، ويبدو أنه شيء ولكنه ليس شيئاً، ويتوقف وجوده على ما هو خارجٌ عنه من ضوءٍ منير وجامدٍ مُعتم. «فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده!» (مز 8: 4).

3 – انتماؤه لإله ينصره: «يا رب، طأطئ سماواتك وانزل. المِس الجبال فتدخِّن. أَبرِق بروقاً وبددهم. أَرسِل سهامك وأزعِجهم. أَرسِل يدك من العَلاء. أَنقِذني ونجِّني من المياه الكثيرة، من أيدي الغرباء الذين تكلَّمَت أفواههم بالباطل، ويمينهم يمين كذب» (آيات 5–8). لا يمكن للنفخة أو الظل أن يدافعا عن نفسيهما، فلا بديل عن وجود مدافع أعلى يحمي ويصون. هذا المدافع هو الرب وحده، كما حدث عندما تابع فرعون بني إسرائيل، فكان البحر أمامهم والعدو وراءهم، وليس لهم نجاة منظورة، فقال لهم موسى: «لا تخافوا. قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم.. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر 14: 13، 14). وقد كان.

(أ) **الرب الذي ينصر**: كما حدث في الخروج. هو الذي أَرعب العدو ووضعه في حجمه الطبيعي الحقيقي، ونصر عبيده بمجده الإلهي إذ طأطأ عمود السحاب، وسخر الريح، وأمر البحر أن ينجي الأتقياء ويهلك الظالمين. وبقوة إلهية أبرق فبددهم. «أرسل سهامه فشتَّتهم وبروقاً كثيرة فأزعجهم، فظهرت أعماق المياه، وانكشفت أسس المسكونة» (مز 18: 14، 15).

(ب) **العدو الذي انهزم**: جاء الأعداء كنهر جارف، فقال الله لتقيِّه: «إذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك» (إش 43: 2). والأعداء غرباء على الإيمان، قال المسيح عنهم: «تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمةً لله، وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب، ولا عرفوني» (يو 16: 2، 3). والأيدي اليمنى للأعداء كاذبة. وتُرفع اليد اليمنى للصلاة، وصلاة العدو كاذبة. وتُرفع للقسَم، وأيمان العدو ووعوده مخادعة. وقال المسيح لمثل هؤلاء الأعداء: «أنتم من أبٍ هو إبليس،

وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتّالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له، لأنه كذاب وأبو الكذاب» (يو 8: 44).

4 – ثقته في النصر الإلهي: «يا الله أرنم لك ترنيمة جديدة. برباب ذات عشرة أوتار أرنم لك. المعطي خلاصاً للملوك، المنقذ داود عبده من السيف السوء. أنقذني ونجِّني من سيف الغرباء الذين تكلمت أفواههم بالباطل، ويمينهم يمين كذب» (آيات 9–11).

(أ) ثقة يعبِّر عنها بالترنيم: كان المرنم واثقاً من النصر، فجهَّز الشعر واللحن، والآلة الموسيقية ذات الأوتار العشرة. لم يكن يسلك بالعيان بل بإيمان، وهو من يرى من لا يُرى، فرأى النصر قادماً لا محالة. «أمسرورٌ أحد؟ فليرتل» (يع 5: 13).

(ب) ثقة نتيجة التعاملات الماضية: رجع المرنم بذاكرته إلى الماضي، فرأى أن الله أنقذ داود من سيف السوء، أي من ويلات الحروب، وأنقذ غيره من قادة شعبه، فاطمأنت نفسه لأن «الإله القديم ملجأ» (تث 33: 27).

(ج) ثقة لأن العدو مهزوم: وكان المرنم واثقاً من هزيمة العدو لأنه شرير، فيده اليمنى المرفوعة في صلاة هي صلاة رياء ونفاق لأنها اليد التي ترفع السيف لتقتل البريء. كما أن يده المرفوعة للقسَم تحلف كذباً. فلا بد أن يحل به العقاب. «كل آلة صُوِّرت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب، وبرُّهم من عندي، يقول الرب» (إش 54: 17).

# ثانياً ـ المرنم يصف مستقبله
## (آيات 12-15)

كان الرب قد وعد شعبه بالبركة إن هو سمع صوت الرب إلهه وأطاعه، فقال: «مباركاً تكون في المدينة، ومباركاً تكون في الحقل، ومباركةً تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك، نتاج بقرك وإناث غنمك. مباركةً تكون سلَّتك ومعجنك» (تث 28: 3–5). وفي هذه الآيات الأربع نرى تحقيق أربع بركات:

1 – المستقبل العائلي: (آية 12).

(أ) البنون: «لكي يكون بنونا مثل الغروس النامية في شبيبتها» (آية 12أ). كنتيجة لبركات الرب وعنايته القوية بالإنسان الضعيف يصبح الأبناء في زمن شبابهم مثل الغروس النامية، الأمر الذي وصفه المرنم في مزامير المصاعد بقوله: «هوذا البنون ميراث من عند الرب. ثمرة البطن أجرة. كسهام بيد جبار هكذا أبناء الشبيبة.. بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك» (مز 127: 3، 4 و128: 3). فالبنون ثروة حقيقية، وهم غروس يجب أن تتعمَّق جذورهم في الأرض الجيدة والبيئة المناسبة، وهم واعدون بمستقبل مبارك، ينمون ويزهرون ويثمرون، لأنهم يرتوون بالماء الحي «فمن رائحة الماء تُفرِخ وتُنبت فروعاً كالغرس» (أي 14: 9).

(ب) البنات: «بناتنا كأعمدة الزوايا منحوتات حسب بناء هيكل» (آية 12ب). في هذه الحالة السعيدة تكون البنات منحوتات كأعمدة الزوايا التي تربط سقف البيت معاً، فيكنَّ سبب ارتباط وتوحُّد ووفاق وتناغم، لم يتعب الوالدون في تربيتهن. ولا شك أن المرنم كان يفكر في الأعمدة القوية الثابتة الجميلة بفخامتها وضخامتها، فرأى بناته جميلات في ملابسهن الزاهية وزينتهن الذهبية وقد اكتنزت أجسادهن بالطعام الوفير والصحة. ولعل المرنم كان يذكر القول: «شاول ألبسكنَّ قرمزاً بالتنعُّم، وجعل حليَّ الذهب على ملابسكنَّ» (2صم 1: 24).. وإن كان المرنم يفكر في الصحة الجسدية فهذا حسن، وإن فكر في الذكاء العقلي فهذا أحسن. ولكن إن فكر في التقدم الروحي فهذا هو الأحسن، فبنات اليوم هنَّ أمهات الغد، و«امرأة فاضلة من يجدها؟ لأن ثمنها يفوق اللآلئ. بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة» (أم 31: 10، 11).

2 – المستقبل الاقتصادي: «أهراؤنا ملآنة تفيض من صنف فصنف. أغنامنا تنتج ألوفاً وربوات في شوارعنا» (آية 13). عندما ينصر الرب شعبه تفيض الأجران بالقمح والشعير وكل أصناف الحبوب، وتلد الأغنام في الشوارع، فتزيد الثروة الحيوانية. ويتغنى المرنم هنا بمثل ما جاء في مزمور نهاية السنة الزراعية: «كللتَ السنة بجودك، وآثارك تقطر دسماً. تقطر مراعي البرية، وتتنطَّق الآكام بالبهجة. اكتست المروج غنماً، والأودية تتعطف بُرّاً. تهتف وأيضاً تغني» (مز 65: 11–13).

3 – المستقبل الأمني: «بقرنا محمّلة. لا اقتحام ولا هجوم ولا شكوى في شوارعنا» (آية 14). يصف المرنم المستقبل المجيد للشعب الذي يحميه الرب بأنه آمن، تحمل أبقاره أحمالاً كبيرة من الحقل إلى المخازن دون أن يهاجمه الغزاة، ولا يقتحم أحدٌ أحداً ولا يهاجم أحد أحداً، ولا يشكو أحد من أحد، فإن الجميع آمنون مُكتفون، يجلس كل واحد تحت كرمته وتحت تينته في طمأنينة

كاملة، كما حدث أثناء مُلك سليمان (1مل 4: 25)، فتتحقق المواعيد الإلهية: «الرب يعطي عزّاً لشعبه. الربُّ يبارك شعبَه بالسلام» (مز 29: 11). «الذي يجعل تخومك سلاماً ويشبعك من شحم الحنطة» (مز 147: 14). «وأنا يقول الرب أكون لها سور نار من حولها، وأكون مجداً في وسطها» (زك 2: 5). «لأن عيني الرب تجولان في كل الأرض ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه» (2أي 16: 9).

4 – المستقبل الروحي: «طوبى للشعب الذي له كهذا. طوبى للشعب الذي الربُّ إلهه» (آية 15). ويرى المرنم مستقبلاً روحياً رائعاً لشعبه في ظل سيادة الرب الملك. «طوبى للأمة التي الرب إلهها، الشعب الذي اختاره ميراثاً لنفسه» (مز 33: 12).

بدأ سفر المزامير بالتطويب (مز 1: 1)، وبدأ المسيح موعظته على الجبل به (مت 5: 3). ما أسعد من يعيش مع الرب وقد سلَّم زمام القيادة له، فينطبق عليه وصف تطويبات الموعظة على الجبل. لقد بدأ المسيح خدمته في الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر 1: 15). فلنفتح قلوبنا لنتلقَّى أخبار الإنجيل المفرحة، ولتكن قلوبنا أرضاً جيدة تقبل بذار كلمة الله وتفهمها وتأتي بثمر (مت 13: 23).

**اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ**

تَسْبِيحَةٌ لِدَاوُدَ

1أَرْفَعُكَ يَا إِلَهِي الْمَلِكَ، وَأُبَارِكُ اسْمَكَ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ. 2فِي كُلِّ يَوْمٍ أُبَارِكُكَ، وَأُسَبِّحُ اسْمَكَ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ. 3عَظِيمٌ هُوَ الرَّبُّ وَحَمِيدٌ جِدّاً، وَلَيْسَ لِعَظَمَتِهِ اسْتِقْصَاءٌ. 4دَوْرٌ إِلَى دَوْرٍ يُسَبِّحُ أَعْمَالَكَ، وَبِجَبَرُوتِكَ يُخْبِرُونَ. 5بِجَلاَلِ مَجْدِ حَمْدِكَ وَأُمُورِ عَجَائِبِكَ أَلْهَجُ. 6بِقُوَّةِ مَخَاوِفِكَ يَنْطِقُونَ، وَبِعَظَمَتِكَ أُحَدِّثُ. 7ذِكْرَ كَثْرَةِ صَلاَحِكَ يُبْدُونَ، وَبِعَدْلِكَ يُرَنِّمُونَ.

8اَلرَّبُّ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ. 9الرَّبُّ صَالِحٌ لِلْكُلِّ، وَمَرَاحِمُهُ عَلَى كُلِّ أَعْمَالِهِ. 10يَحْمَدُكَ يَا رَبُّ كُلُّ أَعْمَالِكَ، وَيُبَارِكُكَ أَتْقِيَاؤُكَ. 11بِمَجْدِ مُلْكِكَ يَنْطِقُونَ، وَبِجَبَرُوتِكَ يَتَكَلَّمُونَ، 12لِيُعَرِّفُوا بَنِي آدَمَ قُدْرَتَكَ، وَمَجْدَ جَلاَلِ مُلْكِكَ. 13مُلْكُكَ مُلْكُ كُلِّ الدُّهُورِ، وَسُلْطَانُكَ فِي كُلِّ دَوْرٍ فَدَوْرٍ.

14اَلرَّبُّ عَاضِدٌ كُلَّ السَّاقِطِينَ، وَمُقَوِّمٌ كُلَّ الْمُنْحَنِينَ. 15أَعْيُنُ الْكُلِّ إِيَّاكَ تَتَرَجَّى، وَأَنْتَ تُعْطِيهِمْ طَعَامَهُمْ فِي حِينِهِ. 16تَفْتَحُ يَدَكَ فَتُشْبِعُ كُلَّ حَيٍّ رِضىً. 17الرَّبُّ بَارٌّ فِي كُلِّ طُرُقِهِ، وَرَحِيمٌ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِ. 18الرَّبُّ قَرِيبٌ لِكُلِّ الَّذِينَ يَدْعُونَهُ، الَّذِينَ يَدْعُونَهُ بِالْحَقِّ. 19يَعْمَلُ رِضَى خَائِفِيهِ وَيَسْمَعُ تَضَرُّعَهُمْ، فَيُخَلِّصُهُمْ. 20يَحْفَظُ الرَّبُّ كُلَّ مُحِبِّيهِ، وَيُهْلِكُ جَمِيعَ الأَشْرَارِ. 21بِتَسْبِيحِ الرَّبِّ يَنْطِقُ فَمِي، وَلْيُبَارِكْ كُلُّ بَشَرٍ اسْمَهُ الْقُدُّوسَ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ.

# أسبِّح اسمك إلى الدهر والأبد

مزمورنا ثاني المزامير التسبيحية السبعة التي يُختَتم بها سفر المزامير، وهو الترنيمة الجديدة التي ورد ذكرها في مز 144: 9 «يا الله أرنم لك ترنيمة جديدة. برباب ذات عشرة أوتار أرنم لك». وكأن قلب صاحب هذا المزمور قد امتلأ بالتسبيح الختامي للصلاة الربانية: «لأن لك الملك والقوة والمجد». فهو يسبِّح الملك الأبدي خالق كل البشر، الذي يسبحه الجميع ويمجدونه، لأنه الكريم الذي يحب كل خلائقه ويعطيها كل احتياجها. وكان اليهود يرنمون هذا المزمور ثلاث مرات يومياً، مرتان أثناء العبادة الصباحية ومرة ثالثة أثناء العبادة المسائية، كما كانت الكنيسة الأولي تتلوه في منتصف النهار، قبل تناول طعام الغداء. وكانت الآيتان 15 و16 منه جزءاً أساسياً من صلاة الشكر على الطعام «أعين الكل إياك تترجي، وأنت تعطيهم طعامهم في حينه. تفتح يدك فتُشبع كل حي رضى». وكان القديس يوحنا فم الذهب يتلو هذا المزمور أثناء التناول من مائدة العشاء الرباني، لأنها غذاء الروح.

في مزمور 142 سكب داود شكواه، وفي مزمور 143 رفع صلاة توبة، وفي مزمور 144 طلب أن يعلِّمه الرب محاربة العدو وأن يهبه النصر فيرتل ترنيمة جديدة. ثم يجيء مزمورنا بالفرح والتمجيد على الإنصاف من الشكوى، والغفران للذنب، والنصرة على العدو.

ومزمورنا أبجدي، بمعنى أن كل آية منه تبدأ بأحد حروف الأبجدية العبرية، ولو أنه لا يحوي آية تبدأ بحرف النون. (مزمورا 25 و34 أبجديان، لم ترد فيهما آية تبدأ بحرف الواو). وقد لاحظ بعض المفسرين أن المزامير التي تحوي آيات تبدأ بكل الحروف الأبجدية تتحدث عن الأبرار الذين أكملوا جهادهم ووصلوا إلى الكنيسة المنتصرة في السماء. أما المزامير التي تنقصها آية تبدأ بأحد حروف الأبجدية فهي تتحدث عن أبرار على الأرض، أعضاء في الكنيسة المجاهدة، لا يزالون يجاهدون في خدمة الله وتمجيده.

## في هذا المزمور نجد:

أولاً – تسبيح الله العظيم (آيات 1–7)

ثانياً – تسبيح الله الرحيم (آيات 8–10)

ثالثاً – تسبيح الله الملك (آيات 11–13)

رابعاً – تسبيح الله المُحسِن (آيات 14–21)

# أولاً _ تسبيح الله العظيم

(آيات 1-7)

1 – عظيم في مُلكه: «أرفعك يا إلهي الملك» (آية 1أ). يملك الله على كل العالم لأنه خالق الجميع، ولأنه يعتني بالجميع، ولأنه افتدى كل الخطاة بكفارة المسيح. دعاه داود بالقول: «استمع لصوت دعائي يا ملكي وإلهي، لأني إليك أصلي» (مز 5: 2). «رأوا طرقك يا الله، طرق إلهي وملكي في القدس» (مز 68: 24).

2 – عظيم في أبديته: «وأبارك اسمك إلى الدهر والأبد. في كل يوم أباركك، وأسبح اسمك إلى الدهر والأبد» (آية 1ب، 2). هو الموجود كل يوم، والموجود إلى الدهر والأبد. «هو الإله الحي القيوم إلى الأبد، وملكوته لن يزول، وسلطانه إلى المنتهى» (دا 6: 26). لهذا «يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود، وأنه يجازي الذين يطلبونه» (عب 11: 6). لن ينتهي تسبيح المرنم له أثناء حياته على الأرض، وسيستمر يسبح له في السماء.

3 – عظيم في صلاحه: «عظيم هو الرب وحميد جداً، وليس لعظمته استقصاء» (آية 3). الرب صالح وإلى الأبد رحمته، فلا يوجد من يستحق الحمد سواه، وليس لعظمة صلاحه حدود. إنها تفوق الوصف. «عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا» (مز 48: 1). قال عنه أليفاز: «الفاعل عظائم لا تُفحَص وعجائب لا تُعدّ» (أي 5: 9). بعد أن تحدَّث الرسول بولس عن عمل الله الفدائي، وعن أمانته لوعوده بالرغم من عدم أمانة الشعب، قال: «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء» (رو11: 33).

4 – عظيم في معجزاته: «دور إلى دور يسبح أعمالك، وبجبروتك يخبرون. بجلال مجد حمدك وأمور عجائبك ألهج. بقوة مخاوفك ينطقون، وبعظمتك أحدِّث. ذِكر كثرة صلاحك يُبدون، وبعدلك يرنمون» (آيات 4–7). يُجري الرب معجزات للشعب ككل، ويجري معجزات للأفراد، ولذلك «يخبرون وينطقون ويُبدون ويرنمون» كشعب، كما أن المرنم كفردٍ يقول «ألهج وأحدِّث». تسبِّح الأجيال المتتابعة من جماعة وأفراد الرب على أعماله المعجزية التي يجريها، وسبق فأجراها مع آبائهم، وهم يثقون أنه سيجريها مع أولادهم. عندما كان بنو إسرائيل يحتفلون بعيد الفصح كان الأولاد يسألون آباءهم: «ما هذه الخدمة لكم؟» فيجيبونهم: «هي ذبيحة فصح للرب الذي عبر عن بيوت بني إسرائيل في مصر، لما ضرب المصريين وخلَّص بيوتنا» (خر 12: 26، 27). وقال موسى في نشيده: «اذكر أيام القِدم، وتأملوا سني دور فدور. اسأل أباك فيخبرك، وشيوخك فيقولوا لك» (تث 32: 7). ويقول المؤمن: «اللهمَّ قد علَّمتني منذ صباي، وإلى الآن أخبر بعجائبك» (مز 71: 17).. وقال الرسول بولس: «كان لنا في أنفسنا حكم الموت لكي لا نكون متكلين على أنفسنا، بل على الله الذي يقيم الأموات، الذي نجانا من موت مثل هذا، وهو ينجي. الذي لنا رجاء فيه أنه سينجي أيضاً فيما بعد» (2كو 1: 9، 10).

# ثانياً _ تسبيح الله الرحيم

(آيات 8-10)

1 – رحمته فاعلة: »الرب حنان ورحيم، طويل الروح وكثير الرحمة. الرب صالح للكل، ومراحمه على كل أعماله» (آيتا 8، 9). أعلن الله أنه حنان ورحيم (خر 34: 6) وكرر الأتقياء هذا الإعلان في كل عصر، فذكره المرنم في مز 86: 15 و103: 8، وردَّده الوالي نحميا في صلاته (نح 9: 16، 17)، والنبي يوئيل (2: 13) والنبي يونان (4: 2). وليست رحمة الله مجرد مشاعر من جانبه، لكنها أفعال واقعية ملموسة. إنها ترحم الخاطئ بالخلاص، وترحم المجروح بالعزاء، وترحم الحائر بالإرشاد. قال عنها النبي ناحوم: «صالح هو الرب. حصنٌ في يوم الضيق، وهو يعرف المتوكلين عليه» (نا 1: 7). وتظهر رحمته في جلالها الكامل في الفداء، فيقول الوحي: «الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدَّمه الله كفارة» (رو 3: 23–25). ويقول: «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا.. الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مخلَّصون» (أف 2: 1، 4، 5).

2 – رحمته مشكورة: «يحمدك يا رب كل أعمالك ويباركك أتقياؤك» (آية 10). تخضع الطبيعة لقوانين الله خالقها، وتشهد لعظمته بحجمها الهائل. أما الأتقياء فيشعرون بعظمة رحمته التي لا يستحقونها، فيباركونه. لقد انبهرت عقولهم من رحمته فيمجدونه، وانبهرت بها قلوبهم فيحبونه، وانبهرت بها إرادتهم فيطيعونه، ويهتفون: «أما أنا فعلى رحمتك توكلت. يبتهج قلبي بخلاصك. أغني للرب لأنه أحسن إليَّ» (مز 13: 5، 6).

# ثالثاً _ تسبيح الله الملك

(آيات 11-13)

1 – صاحب المُلك المجيد: «بمجد مُلكك ينطقون، وبجبروتك يتكلمون» (آية 11). مُلكه مجيد وقوته عظيمة، يتحدث به الأتقياء. تكلم به نوح وعائلته بينما الطوفان يهلك الخطاة، ونطق به لوط بينما تحرق النيران سدوم وعمورة. وهذا الجبروت في خدمة محبة الله، فهو الملك المحب الذي يقول: «كنت أجذبهم بحبال البشر، بربُط المحبة. وكنت لهم كمن يرفع النير عن أعناقهم، ومددتُ إليه مطعماً إياه» (هو 11: 4). وفي مُلكه وسلطانه أعطى كل من يقبلون المسيح رباً وفادياً نعمة البنوية له (يو 1: 12)، وفي النهاية يقول للتقي: «نعِمّا أيها العبد الصالح والأمين. كنتَ أميناً في القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك» (مت 25: 21).

2– صاحب المُلك المُعلَن: «ليعرِّفوا بني آدم قدرتك ومجد جلال مُلكك» (آية 12). عندما ينذهل المؤمنون من مجد مُلك الله يخبرون البشر من حولهم بما فعله الله لهم. وكلما ذكرنا صُنع الفداء العجيب ننفذ وصية المسيح لنا بخصوص التناول من العشاء الرباني: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء» (1كو 11: 26)، وننفذ وصيته للمجنون الذي شُفي: «اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك» (مر 5: 19).

3 – صاحب المُلك الأبدي: «مُلكك مُلك كل الدهور، وسلطانك في كل دور فدور» (آية 13). هذا مُلك الأزلي الأبدي، الذي قال عنه نبوخذنصر ملك بابل: «الآيات والعجائب التي صنعها معي الله العلي حسُن عندي أن أُخبر بها. آياته ما أعظمها، وعجائبه ما أقواها. ملكوته ملكوت أبدي، وسلطانه إلى دور فدور» (دا 4: 2، 3).

# رابعاً ـ تسبيح الله المحسِن

(آيات 14-21)

1 – يسند الساقط: «الرب عاضدٌ كل الساقطين» (آية 14أ). يسقط الإنسان تحت ثقل الخطية التي تقيِّده بسلاسل لا يفكه منها إلا الرب عاضد الساقطين، كما يسقط تحت وطأة الحزن فلا يرفعه إلا معزّي الحزانى ومريح التعابى «لأن سواعد الأشرار تنكسر، وعاضد الصدّيقين الرب.. من قِبل الرب تتثبَّت خطوات الإنسان، وفي طريقة يُسرُّ. إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مُسندٌ يده» (مز 37: 17، 24). لهذا يدعوه المرنم: «اعضُدني حسب قولك فأحيا، ولا تُخْزني من رجائي» (مز 119: 116).

2 – يقيم المنحني: «ومقوِّمٌ كل المنحنين» (آية 14ب). ينحني الإنسان تحت ثقل الديون، أو بسبب الأمل الضائع، أو بسبب عجزه عن مواجهة المواقف. وعندما يصرخ إلى الرب يزيل الحِمل من على كتفه، ويعطيه قوة للاحتمال، كما شفى المسيح المرأة المنحنية التي لم تكن تقدر أن تنتصب، فطرد منها روح الضعف، فاستقامت ومجدت الله (لو 13: 10–17)، وكما قال لبولس بخصوص شوكة جسده التي تضرَّع للرب بسببها: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمَل» (2كو 12: 9).

3 – يطعم الجميع: «أعين الكل إياك تترجّى، وأنت تعطيهم طعامهم في حينه. تفتح يدك فتُشبع كل حيٍّ رضى» (آيتا 15، 16). «يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين.. لذلك أقول لكم: لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس؟ انظروا إلى طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد، ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟» (مت 5: 45، 6: 25–27). لذلك قال المرنم: «كلها إياك تترجى لترزقها قوتها في حينه. تعطيها فتلتقط. تفتح يدك فتشبع خيراً» (مز 104: 27، 28). وتترجاه عيون الأتقياء ليشبعهم بالمسيح الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد (يو 6: 51).

4 – يصنع البر: «الرب بار في كل طرقه، ورحيم في كل أعماله» (آية 17). الرب بار عادل، وهو رحيم أيضاً. ولا تتصالح عدالته مع رحمته إلا في صليب المسيح، الذي فيه ينال العدل بكل جلاله حقَّه، لأن المسيح احتمل في جسده ونفسه عقوبة الخطية. وفي الصليب تظهر الرحمة بكل قوتها وجمالها، كما قال المرنم: «الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما» (مز 85: 10). «أي أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسبٍ لهم خطاياهم.. لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطيةً لأجلنا، لنصير نحن برَّ الله فيه» (2كو 5: 19، 21). «وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبحُبُره (بجَلدته) شُفينا» (إش 53: 5).

5 – يستجيب الصلاة: «الرب قريب لكل الذين يدعونه، الذين يدعونه بالحق. يعمل رضى خائفيه، ويسمع تضرعهم فيخلِّصهم» (آيتا 18، 19). الرب قريب قُرب المحب من حبيبه، فيسرع بالمعونة إليه وينصفه سريعاً (لو 18: 8). ولا شيء يفصل الرب عن المحتاجين إلى رحمته، فهو قريب منهم، يُميل أذنه ويصغي إليهم وينجيهم (مز 40: 1)، ويشجعنا الوحي بالقول: «اطلبوا الرب ما دام يوجد. ادعوه وهو قريب» (إش 55: 6). وكل من يدعوه بالحق من قلب مُخلص يجده السامع المجيب، لأنه يدعو بقلب

مؤمن واثق، يحب الله ويخضع له. «شهوة الصدّيقين تُمنَح» (أم 10: 24). «لأنه أي شعب هو عظيم له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا في كل أدعيتنا له؟» (تث 4: 7). «قريب أنت يا رب، وكل وصاياك حق» (مز 119: 151).

6 – يصنع العدل: «يحفظ الرب كل محبّيه، ويهلك جميع الأشرار» (آية 20). هذا الملك يحسِن للبار فيحفظه من شر الأشرار، ومن غواية تجارب إبليس، ومن اتِّخاذ القرار الخاطئ. وفي عدالته يُهلك الشرير بشره، فعندما يحفر حفرة يسقط فيها، وعندما يدحرج حجراً يرجع عليه (أم 26: 27). وهذا ما اختبره المرنم، فقال: «هيّأوا شبكة لخطواتي. انحنت نفسي. حفروا قدامي حفرة. سقطوا في وسطها» (مز 57: 6). لهذا شجَّع المسيح تلاميذه بالقول: «تكونون مُبغَضين من الجميع من أجل اسمي، ولكنَّ شعرةً من رؤوسكم لا تهلك. بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو 21: 17، 18). «لا ينعس حافظك.. الرب ظل لك عن يدك اليمنى» (مز 121: 3، 5).

7 – يستحق التسبيح: «بتسبيح الرب ينطق فمي، وليبارك كل بشرٍ اسمه القدوس إلى الدهر والأبد» (آية 21). بدأ المرنم مزموره بأن رفع إلهه الملك العظيم الرحيم المحسن، وختمه بأن سبح له بالفم المعترف بالفضل، ثم أعلن أن كل البشر الذين تمتعوا بعطائه المقدَّس وببرِّه المقدِّس يشاركونه التسبيح للاسم القدوس في هذا الدهر، وفي الدهر الآتي، ويهتفون جميعاً: «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز 103: 2).

«بجلال مجد حمدك وأمور عجائبك ألهج».